رسالة في

آداب القارىء والمستمع والتالي

وآداب أخرى لحملة القرآن

لمؤلفها

الشيخ محمد عادل الشريف

مدير

دار الفقه والحديث

النشرة السابعة عشرة

م م م

م م

م

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان ــ هاتف ٣٧٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل القرآن على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله مصدر هداية ورشاد وذكرى للمؤمنين ونسأله الفهم في كتابه والسير على آدابه وأشهد الا اله الا الله وحده لا شريك له يخلق ما يشاء وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أوصى أمته بالتمسك بكتاب الله وعلى آله وصحبه الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه .

وبعد : فان الله جل وعلا يقول في محكم كتابه (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون) الآية ٥٠ المائدة .

نزلت هذه الآية في أحبار اليهود حينما قالوا أذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأنا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك و نصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليه (فان تولوا وأعرضوا عن الحكم المنزل وأرادوا غير حكم الله) فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنوب اعراضهم عن حكم الله والعمل بكتابه سبحانه وتعالى

وفي هذا دليل كاف على ان الاعراض عن حكم الله وتنفيذ أوامره واقامة حدوده فيه البلاء الأعظم • فقد ورد عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (اقامة حد في أرض خير من مطر أربعين صباحا) وفي رواية (أفضل)[1] •

آية صادقة من كتاب الله تبين لنا منزلة القرآن في الأرض وأنه حبل الله الممدود من السماء شرحت لنا وظيفته في الدنيا وأنه ما جاء الا ليكون قانونا يحكم ودستورا يتبع وقائدا يرشد ومصباحا يضيء لا تسعد البشرية الا به ولا تقوم السماء والأرض الا عليه ولا تصلح الأمة الا معه ومعنى ذلك أن هذا القرآن دواء ممن خلق الداء فكل حكم وكل تشريع يستمد من غيره أو يصدر عن سواه انما هو تمويه وتضليل مصدره العصبية والجهل وينبوعه الهوى والشيطان (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا) الآية ١٢٠ النساء وذلك أمر معقول ومنطق مقبول (لأنه لا يصلح الآلة الا مخترعها ومهندسها ولا يدير محرك السفينة أو القاطرة الا ربانها) وهو سبحانه العليم بمادة كتابه وكنهه وأسراره وأحكامه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) الآية ٤٣ ـ فصلت •

أيها المسلم أيها القائد أيها الجندي ان دستورا كهذا يحمل لنا بين طياته مفاهيم صحيحة قيمة ثابتة جدير بأن يعني به ويعتني بكل حرف من حروفه وآياته جدير بأن يحمل عقيدة

(١) رواه أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه والطبراني وابن حيان وفي حديث آخر (اقامة حد من حدود الله خير من مطر أربعين ليلة رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما •

صحيحة قبل أن تمسه الأيدي جدير بأن تعيه القلوب والبصائر قبل أن تعي غيره من النظم الوضعية وبناء على ذلك فقد حذر الشارع الحكيم من لمس أو مس المصحف او سورة أو آية منه على غير طهارة من الأحداث كلها ٠ والقراءة تكون على طريقين أي حالتين :

الحالة الأولى : القراءة في المصحف نظرا ٠

الحالة الثانية : عن ظهر قلب يعني غيبا ٠

أما القراءة في المصحف نظرا ٠

فمما يتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة الا كلاما يضطر اليه وليتمثل القاريء أمامه قول الله عز وجل (واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) الآية ٢٠٣ ـ الأعراف ٠

وليحذر القارىء أن يلغو مع من يلغو ويلهو مع من يلهو أثناء القراءة بقصد الاعراض عن التدبر في آياته والتشويش لصرف الأذهان عن عظاته لأن المشركين والملحدين كانوا يفعلون ذلك أثناء قراءة القرآن من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الله عز وجل في حقهم (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) الآية ٢٧ ـ فصلت ٠ يعني لعلكم تظهرون عليه في قراءته فلا يتمكن من أداء رسالته لهذا فقد توعدهم الله

وهددهم بعد هذه الآية بقوله (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) الآية ٢٨ وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان اذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ مما أراد أن يقرأه) رواه البخاري في صحيحه وقال لم يتكلم حتى يفرغ منه • ومن ذلك العبث بالأيدي وغيرها ورفع الأصوات من المستمعين الى القارىء ايذانا بالاستحسان فان القارىء انما يناجي ربه سبحانه ، ورفع الأصوات يدل على عدم احترامه ومنه النظر الى ما يلهي ويبدد الذهن وأقبح من هذا كله النظر الى ما حرم الله تعالى هذا هو المذهب الصحيح المختار عند العلماء وعلى الحاضرين مجلس القراءة اذا رأوا شيئا منكرا أن ينهوا عنه على قدر الامكان وبأي وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •

والأفضل للقارىء أن يقرأ على حسب ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ثم البقرة ثم ما بعدها على الترتيب وسواء أكان في الصلاة أم في غيرها ويجوز العكس بأن يقرأ من سورة (الناس ثم الفلق ثم الاخلاص) فقد ورد أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ في الركعة الأولى من الصبح بسورة الكهف وفي الثانية بسورة يوسف والأفضل الأول •

ولا ريب أن قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب لأن النظر في المصحف عبادة مستقلة فتجتمع القراءة والنظر وقد ورد عن جمع من الصحابة رضي الله

عنهم أنه كان لا يمر بهم نهار ولا ليل حتى ينظروا في المصحف وجاء في كتاب فتح الكريم المنان في آداب مس المصحف وحمله وكتابته أنه يحرم على المحدث ولوحدثا أصغر يعني على غير وضوء مس شيء من المصحف وحمله وكذا مس وعاء وصندوق فيهما مصحف بشرط ان يكونا معدين ومخصصين له ويحرم مس علاقة لائقة به بشرط أن يكون عليها المصحف وكذا يحرم عليه مس ما كتب لدراسة ولو بعض آية كلوح وعلاقته ويجب منع المجنون والصبي الذي لا يميز من مسه مخافة انتهاك حرمته وأما الصبي المميز يعني الذي يعرف يمناه من يسراه فلا يمنع من مس مصحف ولوح ودفتر لدراسة وتعليم ولا يكلف الطهارة خشية المشقة وأفتى بعضهم بأنه يتسامح مع مؤدب الأطفال الذي لا يستطيع الاقامة على الطهارة في مس الألواح التي عليها كتابة القرآن أما المصحف نفسه فلا يمسه أبدا بغير وضوء والأفضل لمعلم الطلاب على الألواح أن يكون على طهارة ولو تيمما أما الكافر والملحد والمستخف بالقرآن فانه يمنع من مس المصحف كله أو بعضه لكنه لا يمنع من سماعه حتى انه يجوز تعليمه القرآن ان رجونا اسلامه ثم اعلم أيها المسلم أنه يحرم كتب القرآن وكذا أسماء الله تعالى بشيء نجس أوعلى شيء نجس ومسه به اذا كان غير معفو عنه .

ويستحب تطييب المصحف وتطييبه وجعله على مكان مرتفع ووضعه فوق سائر الكتب العلمية ولا يجوز وضع أي شيء

عليه تعظيما له ويجوز تقبيله قياسا على تقبيل الحجر الاسود الاسعد بل هو اولى ويسن القيام له اذا قدمه له غيره ، ويحرم توسده ومد الرجلين اليه ويحرم نقله الى أرض العدو اذا خيف وقوعه في ايديهم ويحرم بيعه لمن لا يعرف قيمته وحرمته ٠

حكم الجنب والحائض وغيرهما :

أما الجنب والحائض فانه يحرم عليهما قراءة القرآن سواء أكان آية أو أقل منها ويجوز لهما اجراء القرآن على قلبيهما من غير تلفظ بآياته ويجوز لهما النظر في المصحف كما يجوز لهما التسبيح والتهليل والتمجيد والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأذكار ٠

وقيل يجوز للجنب اذا تيمم في السفر أن يقرأ القرآن كما يجوز للجنب أن يقرأ في الصلاة بالفاتحة أو قدرها وقيل لا يقرأ القرآن اذا كان جنبا وللجنب والحائض ان يأتي كل منهما بالأذكار التي يأتي بها من لا يحفظ القرآن ولا يعرف شيئا منه ولا عذر للجاهل اليوم فان وسائل العلم قد ذاعت وانتشرت عن طريق الأثير وغيره ٠ ومن السنة أن يستقبل القبلة عند قراءة القرآن لما ورد في الحديث (خير المجالس ما استقبل به القبلة ويجلس متخشعا بسكينة ووقار ٠

ويستحب الاكثار من البكاء عند القراءة والتباكي لمن لا يقدر عليه لما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ٠ ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن

وسيلة للعيش يكتسب بها فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عليه ولا تغلوا فيه) نعم يجوز أخذ الأجرة على تعليمه بغير شرط لا سيما في آخر الزمان الذي قل فيه الراغبون في تلاوة القرآن وتحصيل العلم وعلى قارىء القرآن ألا يقرأه بغير تجويد لقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) الآية ٥ ـ المزمل ·

وفي الحديث (رُبَّ قارىء للقرآن والقرآن يلعنه) وعلى قارىء القرآن أن يقصد رضاء الله تعالى لأن القرآن من أفضل القرب الى الله جل وعلا وفي الحديث القدسي (من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين) وعلى قارىء القرآن الا يرى أحداً أنعم الله عليه بشيء أحسن مما آتاه فان حفظ القرآن نعمة من الله على عبده فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال (يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالا على الناس) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال (ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون (يعني تكون أكثر أيامه في صيام يعرف بخوفه من الله اذان الناس آمنون ويفرحون وان يُعرف ببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته وسكوته اذا الناس في أعراض الناس يخوضون وبتطامنه وتواضعه اذا الناس يختالون) وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال (ان من كان قبلكم

رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانـوا يتدبـرونها بالليل ويتفقدونها في النهار) وفي الحديث (حامل القرآن حامل راية الاسلام من اكرمه فقد اكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله) وعلى حامله أن يكون عاملا بمقتضاه غير ساه ولا لاه ولا غافل تعظيما لحق القرآن ٠

لولا الـذين لهـم ورد يقـومونا
وآخـرون لهـم سرد يصـومـونـا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا
لأنكـم قـوم سوء لا تطيعـونـا

أما الذي يقرأ عن ظهر قلب يعني غيبا فحكمه حكم القارىء في المصحف لكنه يجوز له اذا كان محدثا حدثا أصغر يعني غير متوضىء أن يقرأ القرآن اذا كان مستنجيا بالماء ٠

واذا كان متيمما وجاء وقت الصلاة قرأ الفاتحة أو قدرها في الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم (لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب) وهذا ما اعتمده السادة الشافعية ولقوله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن)[1] وهو ما أخذ به السادة الأحناف وعلى كل فيجوز لهؤلاء الأنواع الثلاثة (الجنب ، الحائض ، النفساء) أن يقول الواحد منهم خذ الكتاب بقوة وعند الدعاء ربنا آتنا في الدنيا حسنة اذا قصدوا بذلك غير القرآن أما المستحاضة (وهي التي دمها دم فساد فلا تمنع من قراءة القرآن في الزمن

---

(١) الآية (٢٠) من المزمل والآية الثانية (فاقرأوا ما تيسر منه) ٠

المحكوم بأنه طهر وحكمها حكم المحدث حدثا أصغر فلها أن تقرأ عن ظهر قلب ويجمع ذلك كله قوله تعالى (لا يمسه الا المطهرون) الآية ٨٠ ـ الواقعة وقوله عليه الصلاة والسلام (لا يمس القرآن الا طاهر) وقال ابن عبد البر ان هذا الحديث أشبه بالتواتر لتلقى الناس له بالقبول ٠

واذا أراد المسلم أن يأخذ بالرخص ويتأول بعض النصوص والأقاويل التي وردت في مثل هذا المقام فانه يقع قطعا في الحرام والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (استفت قلبك ولو أفتوك وأفتوك ٠

فالبر يا أخي ما اطمأنت اليه النفس والأثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وكرهت ان يطلع عليه الناس قل لي بالله عليك فهل اذا أرسل لك انسانا كتابا غير القرآن وأهداه اليك لتقرأه لينفعك الله به في الدنيا والأخرة هل تحترم وتوقر مرسله اليك وتحافظ عليه لأنه من حبيب اليك أم أنك تأخذه بيد نجسة غير طاهرة وتضعه في مكان غير لائق ولا تهتم به ؟اذا كيف بكتاب الله العزيز الحكيم أكنت تستهين به ولا تأبه به (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) الآية ١٦ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) الآية ١٧ ـ المائدة ٠

ولايضاح ما يتعلق بالجنب وقراءة القرآن منه وممن يحرم على الجنب ومثله الحائض والنفساء أن يقرأ شيئا من القرآن عند الجمهور لحديث علي رضي الله عنها أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم كـان لا يحجبـه عن القـرآن شيء ليس الجنابة) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي وغيره ومعنى قوله في الحديث (ليس الجنابة يعني الا الجنابة وهذا الحديث من قبيل الحسن يصلح للحجة وعن علي رضي الله عنه قال : (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن ثم قال (هكـذا لمن ليس بجنب ، فأمـا الجنب فلا : ولا آية) رواه أحمد وابو يعلى ٠

هل يجوز لمن يقرأ القرآن أن يفسره :

يحرم تفسير القرآن بغير علم كمـا يحرم الخوض في معانيه لمن ليس له صله بالعلم والأحاديث في ذلك كثيرة متفاوتة في الدرجة والقوة متنا وسندا فمن ذلك قوله صلى الله عليـه وسلم (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) يعني أن من حدث حديثا أو فسر آية بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أعد الله له متبوأ كذبه على الله ورسوله في نار جهنم فليحذر من ذلك اكثر الناس فقد سمعت بأذني من يقرأ الحديث ويلحن فيه وسمعت آخر يقرأ آية من القرآن ويفسرها وقع في أخطاء كثيرة منها ٠

أ ــ لم يرتلها كما قال تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) ٠
ب ــ لم يضبط ألفاظها على القاعدة العربية ٠
ج ــ لم يعرف الآية حتى يبين فيها حل المعنى وحل الأعراب ٠
د ــ لم يبين النواحي البلاغية فيها ٠
هـ ــ لم يبين ما ترشد اليه الآية الكريمة ٠

مع العلم بأن السائلين له عن تفسيرها من الشباب الجامعيين الواعين ٠

وهناك شروط عامة وخاصة للتفسير والمفسرين ٠

فالاجماع منعقد على تحريم من فسر أو أفتى بغير علم فالرسول صلى الله عليه وسلم قال (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) فمن شروط المفسر ان يكون أهلا للتفسير جامعا واعيا فاهما لعلوم الآله التي تعرف بها بلاغة القرآن وأسراره كعلوم البلاغة وهي (المعاني والبيان والبديع) وأن يعرف النواحي الكلامية أي علم التوحيد وعلم المنطق الحائز دراسته الذي أفتى العلماء بجوازه قال عالم المنطق :

والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكامل القريحة
ممارس السنة والكتاب ليهتدي به الى الصواب

وتفسير القرآن يحتاج الى دراسة واسعة في اللغة العربية واطلاع واسع ٠

فمن كان اهلا للتفسير بالشرائط الآنف ذكرها وغلب ظنه على المعنى المراد فسره ان كان مما يدرك بالاجتهاد كفهم المعاني واستنباط الأحكام الجلية والخفية هذا اذا كان يعرف مواضع العموم والخصوص والاعراب والعام والخاص والمطلق والمقيد والمنطوق والمفهوم والمحكم والمتشابه الى غير ذلك مما هو مذكور في علم الأصول ٠ وان كان مما لا يدرك بالاجتهاد كالأمور التي طريقها النقل وتفسير الألفاظ اللغوية

فلا يجوز الكلام فيه الا بنقل صحيح من جهة المعتمدين من أهله وأما من كان ليس من أهله لكونه غير جامع لآلات العلم ووسائله التي ذكرتها آنفا فحرم عليه التفسير لكن يجوز له أن ينقل التفسير عن المعتمدين :

المفسرون أقسام :

المفسرون برأيهم من غير دليل ولا حجة ولا برهان انواع فمنهم من يفسر تأييدا لمذهبه مع أنه لا يصل الى غلبة الظن ٠

في المعنى المراد من الآية ٠ وما ذلك الا ليظهر على خصمه ومنهم من يقصد في تفسيره للآية او السورة الدعوة الى الخير ويحتج بآية من القرآن من غير أن يظهر له دليل لما قاله وتحدث به ، ومنهم من يفسر الفاظه العربية من غير وقوف على معانيها ومغازيها عند أهلها العارفين بمواقعها وهي مما لا يؤخذ الا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير كبيان معنى اللفظ واعرابها وما فيها من الحذف والتقدير والاختصار والاضمار والحقيقة والمجاز والعموم والخصوص والتقديم والتأخير والاجمال والبيان وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر ولا يعرفه الا أهل العلم والبصائر ٠

أنظر مثلا الى قوله تعالى في سورة التوبة (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين) ـ ١ (فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين) ـ ٢ وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان ثبتم فهو

خيرلكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) الآية ٣ ٠

فلو أن القارىء للقرآن أو المفسر له قال في الآية الثانية من السورة (أن الله بريء من المشركين ورسوله بجر اللام كفر والعياذ بالله تعالى لفساد المعنى حيئئذ اذا المعنى يكون واضح الفساد فمعنى الآ ية ٠ (يعلم الله الناس ورسوله كذلك عن يوم الحج الاكبر) لاجتماع المسلمين والمشركين فيه من كل فج عميق وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فقال في حجة الوداع (هذا يوم النحر) (وهو يوم النحر الذي رمى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جمرة العقبة) ويعلمهم في هذا اليوم أن الله بريء من كل من أشرك بالله ورسوله كذلك بريء من المشركين هذا اذا كانت القراءة برفع (ورسوله) أو بنصبها (فقراءة الرفع وهي قراءة حفص بضم لام رسوله تشير الى ان الله بريء من المشركين ورسوله كذلك وقراءة نصب لام رسوله وهي حفص معناها (أن الله بريء من المشركين وأن رسوله بريء منهم ٠

أما قراءة جر لام (ورسوله تدل دلالة واضحة على الكفر الصراح اذ أن المعنى يكون هكذا (ان الله يعلم الناس في يوم الحج الأكبر أنه بريء من المشركين وبريء من رسوله) نسأله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من عثرة اللسان وزلة القلم والبيان فان زلة القدم أهون من زلة اللسان ٠ ورد أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤ هذه الآية بجر (ورسوله) فقال ان كان الله

بريئا من رسوله فأنا منه بريء فلما وقف أمام عمر رضي الله عنه وسأله فقال ٠

سمعت القاريء يقرأ ويقول (أن الله بريء من المشركين ورسوله بالجر فقلت مثل ما قال وكان علي بن أبي طالب حاضرا فأمر أبا الاسود أن يضع علم العربية وقال علي لابي الاسود أنح نحوا كما ورد أن جارية سمعها علي كرم الله وجهه تمدح خلق السموات بارتفاعها وعظمتها فقالت متعجبة (ما أجمل السماء) بضم اللام من أجمل وكسر همزة السماء فلما سمعها وعلم انها كانت متعجبة فقال يا جارية افتحي فاك وقولي (ما أجمل السماء) يعني بفتح اللام ونصب الهمزة وهناك قال لأبي الأسود الدؤلي وكان بارعا عالما بالعربية ومفرداتها وسماتها بالسليقة كما قيل :

ولست بنحوي يلوك لسانه

ولكن سليقي أقول فأعرب

وهكذا يا أخي فلا يجوز التهجم على تأويل وتفسير كتاب الله بغير علم ولا دراية ولا فقه في الدين ٠ على أنه لا يكفي معرفة اللغة العربية وحدها بل لا بد معها من معرفة ما قال أهل التفسير العارفون فيها فقد يكونون مجمعين على ترك الظاهر (يعني النص) أو على ارادة الخصوص أو الاضمار وغير ذلك كما هو خلاف الظاهر ، وكما اذا كان اللفظ مشتركا في عدة معان مثل لفظ (في عين حمئة فان لفظ العين يطلق على عدة معان يطلق على الباصرة وعلى الماء الجاري

وعلى الذهب وعلى الرقيب وعلى غير ذلك فعلم المفسر في موضع أن المراد أحد المعاني ثم فسر كل ما جاء به فهذا كله تفسير الرأي وهو حرام والله اعلم ٠

ويحرم الجدال والمراء في الفاظ القرآن وعباراته ومراميه بغير حق لقوله صلى الله عليه وسلم (المراء في القرآن كفر) قال الخطابي المراد بالمراء الشك وقيل الجدال قال تعالى (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا)[1] وقيل المنهي عنه هو الجدال الذي يفعله أهل الأهواء وذوو المبادىء الحزبية ليشككوا الناس في دين الله وآياته لاسيما في آيات القدر ونحوه ٠

نسيان القرآن بعد حفظه :

يكره أن يقول نسيت آية كذا بل يقول أنسيتها بضم الهمزة والتاء يعني يسند النسيان الى الشيطان قال تعالى (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره[2]) أي ما انساني ذكر الحوت الا الشيطان ثبت في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يقل أحدكم نسيت آية كذا أو كذا بل هو شي نُسِّيَ بضم النون وكسر السين وفتح الياء ٠

تسمية السورة من القرآن :

يجوز أن يقال سورة البقرة وسوة آل عمران وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الأنعام ولا كراهة في ذلك على القول المشهور ٠

---

(١) الآية (٢٣) من سورة الكهف ٠
(٢) الآية (٦٤) من سورة الكهف ٠

كتابة القرآن ونقشه :

مذهب السادة الشافعية كراهة نقش الحيطان وسقوف البيوت والثياب بالقرآن وبأسماء الله تعالى الحسنى قال عطاء لا بأس بكتب القرآن في قبلة المسجد ٠ أما كتابته على السيارة في مقدمتها ومؤخرتها كما يفعله سائقو السيارات اليوم فذلك غير جائز قطعا وكذلك مثل (الكلمات التالية الله معك راجعة ، محروسة سيري يا مبروكة) فان الرجوع باذن الله وأمره ان سائقي اليوم يكتبون على سياراتهم آيات (فالله خير حافظا) (عين الحسود فيها عود) وغير ذلك من آيات القرآن ويتركون الصلاة ويشتمون دين الله ويستخفون بالعلماء وأهل الدين ويخالفون أمر الديان ٠

ومنهم من يكتب أمامه في سيارته (يا رضا الوالدين) واني لأعرف الكثير منهم أصلحهم الله لا يعرف حق الوالدين ولا واجباتهم وبعضهم يضرب والديه كما سمعت الكثير من الحوادث المؤسفة أثناء عملي في المحاكم الشرعية ودور الافتاء ان آباءهم يطلبونهم بنفقات أمام القضاء وهم ينكرون آباءهم أمام الحاكم الشرعي فأين هو رضاء الله الذي يطلبونه ويكتبونه على سياراتهم من الذي يعملونه فهم معرضون عن قول ربهم (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل

من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) ـ ٢٣ ـ ٢٤ الأسراء ٠

أين هؤلاء من قول رب الأرض والسماء ؟ أين هم أيظنون أنهم يخدعون ربهم (يخادعون الله والذين آمنو وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) ، نعم هم يستهزئون واذا مروا بالمؤمنين يتغامزون وأمام أهل العلم والدين بآيات الله يكفرون واذا لقوا الذين أمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزيء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ البقرة ٠

ولعلي أكون قد عرضت لمثل هذه الوقائع استطراديا لكنه في الواقع من صميم الموضوع فاني أذكر هذا الشيء الواقع في مجتمعنا من ناحيتين النظرية والعملية فقد شاهدت الكتابة على السيارات واللافتات وأركب يوميا بحكم عملي في مواصلتين ذهابا وايابا ورأيت أمثال هذه الكتابات ولكن فحش الأقوال الذي ينغص على الانسان ولاذع القول الذي يسمعه الراكب عن اقفال باب السيارة عن غير قصد لما يضيق به صدر الحليم ولا يتحمّله الا اثنان ضرب بهما المثل من العرب طبعا بعد الرسل وبعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادراكهم وتقدمهم وبلوغهم كعبا عاليا في الدين ، (وعن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلنـــي وأين أذهب أو كيف أصنع اذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى وروى الأوزاعي (فقيه الشام) عن حسان بن عطية قال : كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك وفي رواية عن الأوزاعي عن مكحـول قـال (القرآن أحـوج الى السنة من السنة الى القرآن وبـه عن الأوزاعي قال : قـال يحي ابن أبي كثير : السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة وليس المراد من ذلك أن السنة حاكمة عـلى الكتاب ولا مذهبته بل المراد أن السنة أي احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هي تفسير الكتاب وتبيينه أو زيادة عـلى حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها وتحريـم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع والقضاء باليمين مع الشاهد وغير ذلك .

(كيف نتعلم الفقه في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم) .قال ابو عبد الرحمن السلمي (كنا اذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدهـا حتى نعـرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها ورد ان سيدنا عبد الله بـن عمر مكث على سورة البقرة ثماني سنوات يتعلمها وورد أن

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة فلما ختمها نحر جزورا شكرا لله تعالى .

وقال ما أحسب القرآن الا عارية بين أيدينا ، وقال اهل العلم لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث من شيخه ولا يكتفي بكتبه بل عليه أن يعرف معناه ويفهمه ويعمل به واذا لم يفعل ذلك يكون قد أتعب نفسه من غير ان يظفر بطائل وليكن حفظه للحديث تدريجيا مع الليالي والأيام قال الزهري من طلب العلم جملة فاته جملة وانما يدرك العلم حديثا وحديثين ، وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه (اعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعلموا) وما أحسن ما قيل :

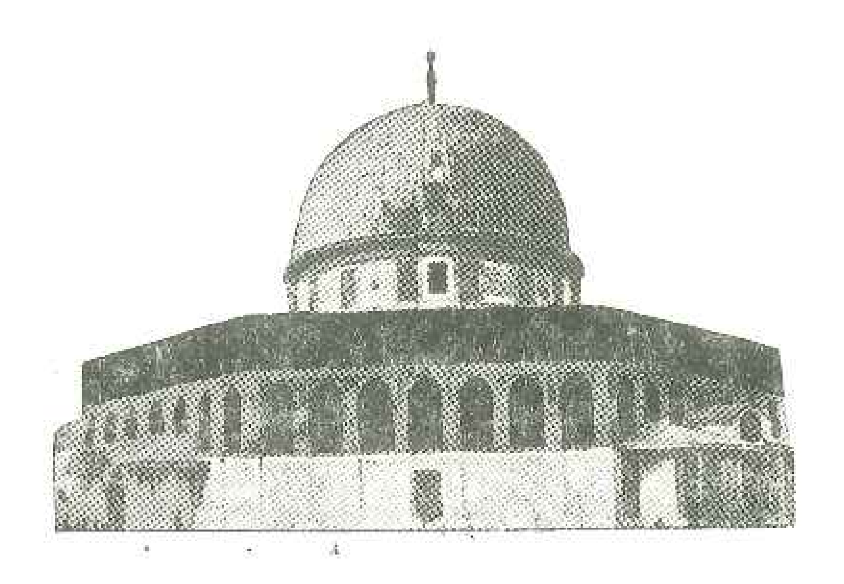
ان العلوم وان جلت محاسنها
فتاجها ما به الايمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز الله يحفظه
وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فبه
نور النبوة سن الشرع والأدبا
والعلم كنز تجده في معارفه
يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب الله فيه اتت
كل العلوم تدبره تر العجبا

من ذاق طعما لعلم الـدين سر به

اذا تـزيـد منـه قـال واطـربـا

يستحب اذا مر القاريء بآية رحمة ان يسأل الله تعالى من فضله واذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من النار ٠

يستحب اذا مر القاريء بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله يقول اللهم اني أسألك العافية أو أسألك المعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد النبي الآمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ٠



يوم الارض والاحتلال الصهيوني الغادر

هذه الخطبة التاريخية التي القاها

الشيخ محمد عادل الشريف

مدير دار الفقه والحديث

وخطيب المسجد الاقصى المبارك والمسجد الحسيني الكبير

في عمان

يوم الجمعة الواقع ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يوم الأرض والاحتلال الصهيوني الغادر هذه الخطبة العالمية التي القاها الشيخ محمد عادل الشريف مدير دار الفقه والحديث والمستشار للشؤون الشرعية في دائرة قاضي القضاة وذلك يوم الجمعة الواقع/١٢ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ه وفق غرة نيسان أي اليوم الأول من نيسان سنة ١٩٧٧ م من على منبر المسجد الحسيني الكبير في عمان ٠

أحمد من له الخلق والأمر ، وعنا لجلاله وعظمته كل من في السموات والأرض سبحانك ما أجل شأنك ، وما أعز سلطانك تكرم أولياءك وأصفياءك ومن قاموا على اعلاء كلمة الحق ونشر لواء الشريعة والعدالة واحقاق الحق وازهاق الباطل تباركت ربنا من إله قدير وحكيم خبير أشهد ألا اله الا انت وحدك لا شريك لك ولا ظهير لك ولا معين في تدبير أمرك أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدك ورسولك ختمت به النبوات وأقمت مقامه خلفاء في الأرض يحكمون بشرعه رفعت بعد التهم وصدقهم شأن الانسان فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الذين آزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ٠

(أما بعد) فيا أيها المسلمون لا نزال في معرض الحديث عن الشخصيات الاسلامية اللامعة من خلفاء رسول الله وأصحابه الغر الميامين يقول عليه الصلاة والسلام (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر) .

حديثنا اليوم أيها المسلمون في الخليفة الصالح أبي بكر الصديق رضي الله عنه وزير رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول وأينما أردنا التحدث عن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وجدنا الهدى والنور والحزم والثبات والاقدام انهم نجوم الأرض ومصابيح السماء يقول صلى الله عليه وسلم (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) .

ابو بكر الصديق هو عبد الله بن أبي قحافة يلتقي في نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد أجداده مرة بن كعب . أسلم أبو بكر وأمه أم الخير وصحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أسلم وبايع من الشيوخ وروى الترمذي باسناده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أبو بكر عتيق الله) وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ان الله تعالى هو الذي لقب أبا بكر صديقا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أنه بادر في المواقف الهامة المحرجة الى تصديق رسول الله ولازم الصدق والتصديق فلم يتوقف ولم يتردد مع الرسول في حال من الاحوال .

أيها المسلمون :

لقد كانت لأبي بكر هذا مواقف في الصمود والبثات والشجاعة أكبرها التاريخ وحرص عليها :

من هذه المواقف :

١ ـ قصة ليلة الاسراء وثباته وجوابه للمشركين المكذبين ٠

٢ ـ هجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصه عليه ومفارقته الأهل والأطفال والعيال ٠

٣ ـ ملازمته وتضحيته في الغار يوم آثر نفسه على رسول الله في دخول الغار وفداه بنفسه ٠

٤ ـ كلامه يوم بدر ويوم حنين لأصحاب رسول الله وتثبيتهم ٠

٥ ـ رجولته وثباته وشجاعته يوم وفاة رسول الله ووقوفه خطيبا في الناس لتسكينهم وتثبيتهم ٠

٦ ـ قيامه في قصة البيعة فيما يعود على مصلحة المسلمين أمر معروف لم ينسه التاريخ ٠

٧ ـ اهتمامه في بعث جيش أسامة بن زيد الى الشام وتصميمه على ذلك ٠

٨ ـ قيامه في قتال أهل الردة الذين ارتدوا عن الاسلام حتى صمد بنفسه وثبت وقارع وحده بعد أن تخلى عنه العديد من المقاتلين ٠

٩ ـ مناظرته للصحابه في انفاذ جيش أسامة حتى حجهم وأقنعهم وحتى شرح الله صدورهم لما شرح الله صدره من الحق ٠

وقصة أسامة بن زيد لا بد من ذكرها فقد استعمل رسول الله صلى الله عليهوسلم حال حياته أسامة بن زيد على جيش

اسلامي معبأ كامل وأمره بالتوجه الى الشام فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الجيش وارتدت العرب وظهر النفاق واشرأبت اليهودية والنصرانية وبقي المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة المطيرة لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم حتى قال الناس لأبي بكر : (ان جيش اسامة هو جند المسلمين والعرب كما ترى فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك ، فقال كلمته المشهورة (والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب الناس جميعا وأمرهم بالتجهيز والاعداد للغزو والخروج • ولا ينسى التاريخ يوم قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم أرسله أسامة لأبي بكر (ان الأنصار تطلب رجلا اقدم سنا من أسامة) فوثب أبو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال تكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله وتطلب مني أن أعزله ولهذه القصة تاريخ عريض وعظات بالغة للقادة والحاكمين في كل زمان ومكان فقد كان انفاذ جيش أسامة أعظم الأمور نفعا للمسلمين فان المشركين قالو لو لم يكن يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوا هذا الجيش فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه •

أما ثبات أبي بكر رضي الله عنه يوم وفاة رسول الله والحاقه بالرفيق الأعلى فأصدق شاهد على قوة عزيمته وصبره وجلده • أن أبا بكر كان من الخطباء الذين ينطقون بالحكم

ويطلقون الفتن ، لما اشتد الأمر على الناس بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعم الحزن جميع المؤمنين وفيهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لم يصدق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يخطب بأن محمدا لم يمت لشدة حرصه على حياته حتى أقسم للناس يمينا وقال (والله ما مات محمد ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران) فجاء ابو بكر على الفور ونادى في الناس وقال يا عمر الزم الصمت فلم يترك الكلام للناس بأنه صلى الله عليه وسلم (مامات) فارتقى ابو بكر مكان عاليا مناسبا وقال :

(أيها الناس وتلا قول الله تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ـ ١٤٤ آل عمران ٠

فثاب الناس الى رشدهم ورجع عمر الى صوابه ، ولما تمت لابي بكر البيعة في السقيفة خطب خطبته التي تعتبر دستورا للحكام العاملين ولقد كانت هذه الخطبة آية من آيات الحكم وفصل الخطاب قال رضي الله عنه (بعد حمد الله والثناء عليه اما بعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة الى ان قال الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه

الى أن قال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، فكم للصديق من مواقف وآثار سطرها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب ومن ذا يستطيع أن يحصي مناقبه ومواقفه !!

أيها المسلمون في كل مكان أيها المجتمع الدولي أيتها الهيآت والمنظمات العالمية ٠

اننا نحن المسلمين والعرب لانزال في صراع مع عدو الاسلام والمسلمين والعرب اجمعين لا نزال في صراع بين الحق والباطل لا نزال في كفاح مع اليهودية العالمية مع الصهيونية والاستعمار ٠

إن الوطن وطننا والأرض أرضنا والمقدسات مقدساتنا فما لخيبر وبني النضير لا ترجع عن غيها وضلالتها ؟ صبرا صبرا أيها المسلمون أيها العرب لقد لاقى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لاقوا من عدو الاسلام انه عداء عقيدة عداء طمع وعنصرية واستيطان حتى انتقل هذا العداء للنبي صلى الله عليه وأصحابه من الجزيرة العربية مقر الدعوة والقيادة والسيادة المحمدية الى فلسطيننا وبلدنا الحبيب ٠ لقد كانت الصهيونية العالمية ومن آزرها من المستعمرين طامعة في احتلال أرض فلسطين كلها وجعلها وطنا قوميا لليهود وذلك قبل (هرتزل) بنصف قرن لأن (هرتزل) نفسه لم يكن مهتما

بقيام دولة يهودية على أرض فلسطين حيث قد نصحه بعض أصدقائه من اليهود بالا تقام هذه الدولة على أرض فلسطين ، لأن فلسطين في رأيهم على ملتقى قارات ثلاث وهذا المركز الاستراتيجي جدير بأن يجرها جرا الى صراع دولي هي في غنى عنه ان فكرة الدولة اليهودية قد وجدت وعرضت قبل انعقاد مؤتمر (بازل) باكثر من خمسين عاما ان الدعوة الى اقامة دولة يهودية صدرت آنذاك من أحد رجالات الأمبراطورية البريطانية حرصا على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ولذلك تعين أن تقوم الدولة اليهودية على أرض فلسطين دون سواها لاستمرار نفوذ بريطانيا ولتزايد اهتمام الدول الأوروبية الكبرى بها وهي منطقة المشرق العربي (الشرق الاوسط) .

أيها المسلمون :

ان اليهود هم اليهود فلا تنسوا ما فعلوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقض العهود وخفر الذمم ويكفينا من ذلك قوله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) ـ ١٠٠ البقرة .

واليوم وقد ابتلى الله الفلسطينيين بنفايات اليهود وزلزلوا زلزالا شديدا فمنهم المهاجر ومنهم النازح ومنهم الضارب في البلاد الأخرى حيث لم يجدوا لهم وليا ولا نصيرا بل لم يجدوا من يخلصهم من براثن الاستعمار والصهيونية .

يا قوم هؤلاء نفايات الأمم وحثالات الشعوب لم يجدوا لهم وطنا يستقرون فيه حتى مهد لهم أعداء الدين والوطن أرض فلسطين مضى عليهم نحو ربع قرن باحتلالها ولولا موآزرة الدول الكبرى لها لما صار لليهود دولة تسمي نفسها اسرائيل قامت دولتهم في أرضنا بل في قلب المسجد الأقصى الذي تشد اليه الرحال والذي بارك الله حوله ، لقد حولوا صبغة مدينة القدس الاسلامية الى صبغة يهودية صهيونية جعلوا في قلب الحرم الشريف الابراهيمي كنيسا يؤمونه يوميا كـل ذلك بسبب خلافاتنا وانشقاق صفوفنا انهم يسومـون اخوتنـا في الأرض المحتلة سوء العذاب •

فما فازوا بمعجزة علينـا ولكن في صفوفهم انضمام

ان الفلسطيني هو الفلسطيني لا يقيم على ضيم يراد به فلا يزال يقـارع ويجاهد دفاعا عن عقيدته وتراب أرضـه ومقدساته ، ولقد كانت انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من آذار العام الماضي انذارا للعالم كله بأن العربي يبقى محافظا على مقدساته وارضه ووطنه •

ولـي وطـن آليـت ألا ابيعـه
وألا أرى غيري له الـدهر مالكـا

عمرت بـه شرخ الشباب منعمـا
بصحبة قـوم أصبحوا فيظلالكـا

وحبب أوطـان الرجـال اليهـم
مآرب قضاهـا الشباب هنالكـا

وأقول شعرا آخر :

أنـــا لا آلـوم المستبد — اذا تعنـت أو تعـدى
فسبيلـــه ان يستبـــد — وطريقنـــا أن نستعـدا

وهذا هو الوضع الطبيعي فالأرض فيها أشواك ولا نقول لم خلق الله الشوك ولكن علينا كلما وجدنا شوكة ان نحرقها

وبعد فيا أيها المسلمون يا أيتها الدول الاسلامية والعربية في كل مكان ٠

الى متى هذا الحلم والصبر ٠ ؟

من الحلم أن تستعمل الجهل دونـه
اذا اتسعت في الحلم طرق المظالـم

وقد نفد الصبر ولم يبق في القوس منزع يا قـوم من لا وطن له لا دين له ومن لا دين له لا وطن له ٠ إن الفلسطيني لا يزال يقاوم منذ أكثر من نصف قرن الاستعمار والعنصرية الصهيونية والتوسعات الاسرائيلية الغير المشروعة بكل مـا أوتي من قوة وحزم وعزم ويقارع الظلم والعسف والجور في كل مكان ٠

اننا نرسلها تحية اكبار واجلال لاخوتنا الصامدين الثابتين فلكم أعظم قدوة وأسوة بالثابتـين والصامـدين من رسول

الاسلام وأصحابه الفاتحين ، (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) ـ ١ الأنبياء •

أيها المسلمون • لقـد وقف اليهـود من قضيتنا نحـن الفلسطينيين موقف الاصرار والعناد والاعراض عن كل حق من شأنه أن يعيد لنا الحق الثابت الذي لا يتمارى فيه اثنـان لقد أوغل اليهود في حقدهم وأمعنوا وأسرفوا في ايذائهم انهم لا يزالون يبطشون باخوتنا في وطنهم الغالي دون ما رحمة أو رأفة أو محاسبة ضمير الجهاد الجهاد مرحى مرحى للصامدين يا قوم :

في الجبن عار وفي الاقبال مكرمة

والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

يقول عليه الصلاة والسلام (من فارق الجماعـة قيـد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه) •

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فاستغفره يغفر لي ولكم أدعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة •